[قال الحافظ: حدَّث عن أبيه وجده، وقد روى الحديث عن عثمان بن علَّان الذهبي وغيره، وروى عن السُّميساطي جماعةٌ منهم الخطيب أبو بكر وأبو القاسم النسيب وغيرُهما]، وأثنى عليه ابن ماكولا وقال: كان متقدماً في علم الهيئة والهندسة، فاضلاً في فنون كثيرة.

السنة الرابعة والخمسون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم ورد الخبر بأن صاحب مصر قبض على أبي الفرج بن المغربي وزيره، [واستوزر أبا الفرج البابلي، ثم ردَّ ابن المغربي]، إلى كتابة الجيش، وهي رتبته قبل الوزارة، ولم يكن قبله وزير يُعزَلُ فيعود إلى قديم تصرُّفه.

وفيه ولد صاحِبُ مصر الأمير مكين الدين.

وفي يوم الخميس تاسع عشر صفر خرج أبو الغنائم بن المحلبان إلى باب السلطان طُغْرُلْبَك بإجابة الخليفة إلى الوصلة.

ذكر السبب:

كانت الكتب قد وردت من السلطان إلى بغداد وواسط والبصرة بإدخال اليد في إقطاع الخليفة والحاشية، وكانت الأطراف بتعديد ما فعل من الجميل دفعة [بعد دفعة](١) وما كان من المقابلة من ردِّ عميد الملك وأعيان الدولة خائبين من الوصلة، وخرج الكلام إلى ما ينافي قانون الطاعة ومقتضى الخدمة وقطع المكاتبة إلى الخليفة، وكان من جملة ذلك كتاب إلى قاضي القضاة أبي عبد الله بن الدامغاني: من شاهنشاه المعظَّم ملك المشرق والمغرب، وذكر ما جرَتْ به العادة، وقال من جملته: وقاضي القضاة وإن كانت أوقاتُه مقصورةً على العلم وتدريس الفقه فهو مندوبٌ إلى ما يؤدِّي إلى حسم الخلاف، وتمهيد أسباب الأسلاف، ولمَّا عاد الشيخ الجليل عميد الملك إلى حضرتنا شرح من حُسنِ سَمْتِه وهَدْيه وتجرُّدِه في إدراك ما طلبناه وخطبناه ما ازددنا ثقةً به، وهو يعلم أن تلك الوصلة لم تكن عن جفوة حتى يستوجبَ بها قبيحَ المكافأة على جميع ما قدَّمناه من المآثر، ولا يخفى ما قدَّمناه من أنواع الاهتمام، وأوحيناه من

---

(١) هذه الزيادة من (ف)، والمنتظم ١٦/ ٧٢.

الإنعام، ثم ما أظهرناه من التذلُّل والخضوع الذي كنَّا نطلبه قُربةً إلى الله تعالى، فعاد ذلك وبالاً علينا في الدنيا والآخرة، ولكنَّا واثقين من الله أن الله لا يُضيع جميلَ أفعالنا، ويُرِي سوء المغبَّةِ لمن أضمر فينا سوءاً. وذكر كلاماً يقتضي التهديد والوعيد، فأُشير على الخليفة بتلافي هذا الأمر، وإلَّا بَعُدَ المرام، واتَّسع الخرق، فوقع التعيين على أبي الغنائم بن المحلبان، وأن يخرج إلى السلطان يستعطفه ويسترضيه، فقال: إن لم يحصل غرضُه من هذه الوصلة التي خطبها لم يكن قصدي له نافعاً، بل زائداً في غيظه. فتوقَّف عن الجواب، فتأخَّر الخروج، وطالت الأيام، وزاد من رئيس العراقيين الاستقصاء في قبح الأفعال، وأشار القاضي والأعيان على الخليفة باستدراك الفارط، فأجاب وكتب وكالةً لعميد الملك، وأذِنَ لقاضي القضاة أبي عبد الله ابن الدامَغاني وأبي منصور، وأوصلهما إليه، حتى شهدا عليه بما سمعاه، وخرج أبو الغنائم في التاريخ المذكور، وورد بعد خمسة أيام كتابٌ من السلطان مع ركابية بردِّ إقطاع الخليفة إليه، والاعتذار ممَّا جرى، وأن أبا نصر بن صاعد واصل بهدية ومشافهة، فطابت القلوب، ووقعت البشائر، وخلع على الركابية، وضُربت بين أيديهم الدبادب والبوقات، ورُفعت يد رئيس العِراقَين عن الإقطاع، وسُلِّم إلى وكلاء الخليفة، وكان في كتاب عميد الملك إلى رئيس العراقَيْن بأن الأمور عادت إلى أحسن ما كانت عليه، فبادرتُ بهذه الأحرف مبشراً بأن تلك اللَّوثة التي ظهرت فيما يتعلق بوكلاء الدار العزيزة النبوية المقدسة ـ عمَرَها اللهُ ببقاء سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ـ زالَتْ بأسرها من غير واسطة، إلا بآرائه التي رآها مولانا السلطان، جرياً على كريم عادتِه، وخُلقِه وسجيَّتِه، ومراعاةً لما فعل في الدولة العباسية، واحترازاً من شماتة عدو أو مقال حاسد، مع ما ظهر من خُمارتِكين الخائن من العصيان، واستجلاب الخذلان، وقد عجل الله بروحه إلى النيران، في دار الهوان، فكان يظهر أن ما يفعله بإشارة الدار العزيزة، وقد أراح الله منه. وذكر كلاماً طويلاً، وقال في آخره: وعليك بالخدمة والوصية والتقدم إلى سائر الزعماء بالعراق بمثل ذلك، وكتابي هذا من جرجان غُرَّة ذي الحجة، والرايات القاهرة متوجهة نحو العراق، وبعدَ هذا يصل رئيس نيسابور أبو نصر محمد بن صاعد ومعه رسالة تتضمن الخدم والقربة، والسلام. فكتب الخليفة

إلى ابن المحلبان بالتوقف إلى حين وصول ابن صاعد؛ ليسمع رسالته، وردِّ الجواب بمقتضاها، [ورسَمَ له طَيَّ ذلك وسَتْرَهُ][1]، وورد عليه الأمر وهو بشهرزور، فأقام يتردَّد في أعمال بدر بن مهلهل، ويتلوَّم بكثرة المَدِّ[2] والثلوج، ثم ظهر في ساقه خرَّاجٌ، فأظهر أنَّ مادةً نزلت فيه فمنعته من الركوب.

وفي ربيع الأول السابع عشر من آذار ورد إلى بغداد سيلٌ عظيمٌ، ووقف الماء في الشوارع والدروب، ووقعت الحيطان، وجاءت ظلمات ورعود وبَرَدٌ كبار، في الواحدة نحو[3] الرطل فأكثر، فأُهلِكَتِ الغلَّات والثمارُ، ودام بقية آذار ونيسان، ووردت الأخبار أن بالجبال وفارس والشام والجزيرة وجميع الدنيا ما هو أعظم من ذلك، ومطرت سنجار والجزيرة ثمانين يوماً مطراً، ما رأوا شمساً، وجاء السيل إلى بلد بدر ابن مهلهل صاحب شَهْرزور، فأخذ حُلَّةً من الأكراد، فطرحها في تامَرَّا.

وزادت دجلة بطالع السرطان سلخ ربيع الأول إحدى وعشرين ذراعاً، وكذا بلغت سنة سبع وستين وثلاث مئة، وفي أيام عضد الدولة، وفي سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة وغيرها، والكل بطالع السرطان، وغرقت بغداد من الجانب الشرقي، ودخل دار الخلافة، وخرج الخليفة ليلاً، وغرس القضيب النبوي في الماء، فكان تارةً ينقص وتارةً يزيد، وكان قبل هذا منتهى الزيادة ثمانية عشر ذراعاً، ودار الماء في شرقي بغداد على حلولا وتامَرَّا على الوحوش، فحصرهم فلم يكن لهم مسلك، فكان أهل السواد يسبحون فيأخذونهم قبضاً، ويحصل للواحد في اليوم مئتا رطل من اللحم[4].

وفيها ورد الخبر بقبض [أبي][5] العباس فضلويه بن علويه ـ زعيم الرعاة الشوانكار بنواحي شيراز ـ على الأمير أبي منصور فولاستون[6] ـ ابن الملك أبي كاليجار بن بُويه،

---

(١) في (خ) و(ف): والمعاني طرفي مسيره، والمثبت من المنتظم.
(٢) المَدّ: السيل. المعجم الوسيط (مدد).
(٣) في (م) و(م١): نصف.
(٤) الخبر بنحوه في المنتظم ١٦/ ٧٤.
(٥) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (ف).
(٦) تحرف في النسختين (خ) و(ف) إلى: فولاشيزر.

والدته حراسويه ـ بباب شيراز، وقبلهما إبعاده أسفنديار أخا أبي منصور بن [أبي] كاليجار مكانه، وكان أبو منصور سفَّاكاً للدماء، قتل جماعةً؛ أبا سعد وبُويه أخويه، والعادلَ أبا منصور القَسْري، مدبِّرَ دولته، وقتل ولدَه برموزة، وعزم على قتل فضلويه، فعاجله فضلويه بتدبير الملك أبي كاليجار كالعادية.

وفيها كانت وقعةٌ بين أبي المكارم مسلمة بن قريش بن بدران وعمه مُقْبِل بن بدران، وقد كان مُقْبِل(١) قد طلب الأمر لنفسه، واجتمع إليه خلق من الأكراد وغيرهم، وبخل مسلمة بالمال، والتقيا على الخابور في مكان يُعرف بالكوكب، فانهزم مسلمة وملَكَ الجزيرةَ مُقبِل، فبذل مسلمة المال، وعاد إلى عمه فهزمه، ثم اتفقا على أن يكون لمُقْبِل ثلث مَغَلِّ الموصل، ثم اجتمعا واصطلحا.

وفي ربيع الآخر غلقت المواخِر ببغداد، ونادى رئيس العراقَين برفعها(٢).

وفيه ورد الخبر بمسير السلطان من جرجان إلى قلعة الكرم بِسَميران، وهي من القلاع التي لا ترام، وكان صاحبها خشتان بن ليمر بن المَرْزُبان سيِّءَ الطريقة، قبيحَ السيرة، فاستوحشَتْ زوجتُه منه، وشكَتْه إلى ابنه مسافر، فوجدَتْ عنده أكثر مما عندها، فوافقَتْه على تسليم القلعة، وتحالفا على ذلك، وتوقَّعا خروج خشتان إلى الصيد، وكان مسافرٌ ساكناً في مكان آخر، فواعدَتْه عند خروج أبيه عن القلعة بقصدها، فخرج أبوه إلى الصيد، فأغلقتِ الباب، وجاء مسافر في الليل إلى مكان عيَّنَتْه، فاستقَتْه في زنبيل هي وجَواريها، فأصعدَتْه، فجلس مكان أبيه، وأخرجا مَنْ كان في الحبوس من الأسرى والرهائن، وكانوا عدداً كثيراً، وخلعا على جماعة منهم، وراسلهما خشتان في إعادته، فلم يلتفِتا، فلما يئس صَعِدَ طُغْرُلْبَك وعرَّفه ما تمَّ عليه، وأطمعه في القلاع، وقال: إذا قَرُبْتَ منها اقبِضْ مَنْ فيها على الزوجة ومسافر، فسار السلطان، فحصرها من نواحيها، وأخرب العسكرُ بلادَها، فلم يلتفتا إليه، وطال مقامُه، فتراسلوا، واتفقوا على مئة ألف دينار وألف ثوب يأخذها السلطان، فرضي ورحل، وأخرج مسافر زوجة أبيه وصرفها إلى أهلها، ثم قُتِلَ مسافرٌ من بعد.

---

(١) في النسخ هنا وفي الموضعين الآتيين: مقيبل، لكن اسمه مقبل كما في المصادر.

(٢) المواخر؛ جمع ماخور: وهو بيت الفسق. المعجم الوسيط (مخر).

وقال ناصر بن الحسين الأبهري العلوي: لمَّا أخذ مسافرٌ سَميران دار مملكة الروم، وهي على نصف من جبال الدَّيلم، وعليها يجري النهر المعروف بأسفيدروذ[١]، أنفذ خشتان لمَّا يئس من سَميران ابنَه نوحاً إلى حصن آخر كبير يُسمَّى القلعة من سَميران، على ثمانية فراسخ، ورسم له المقام فيه ليذهب هو إلى السلطان مستعيناً على ولده وزوجته، وجرى في ذلك ما قدَّمناه، ولم يبلغ خشتان غرضاً، ولحِقَه من الغمِّ والذُّلِّ ما أدَّاه إلى الموت في هذه السنة، وقصد مسافر القلعة وأخاه نوحاً في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وأربع مئة، وحصره، وقاتله، فجاء مسافراً في بعض الأيام سهمٌ فأثخنه، ووقع الإياس منه، فراسلوا أخاه نوحاً، واستحلفوه وسلَّموه إليه، فاعتقله، ثم قتله، وكان سبب تسليم أصحابه له قبحُ سيرته، وسفكُ الدماء من أصحابه، وتملَّك سَميران ولدُ مسافر، ومات طُغْرُلْبَك، وقام بعدَه ولده ألب أرسلان، فأراد إنفاذ من ينتهز الفرصة في تلك الأعمال، فسأله سُرْخاب بن كامرو الديلمي أمير ساوة أن يجعل أعمال الطرم مردودةً إليه، وأن ينتزعها من أولاد خشتان، وأرسل إلى نوح يتهدَّده وقال له: انزل إلى السلطان بأمان. فنزل، فقبض عليه، وجاء به إلى قلاع الطرم، وقال: سلِّموها. فلم يلتفتوا إلى سُرْخاب، ورجع إلى ساوة، ولم يظفر بطائل.

وفي جمادى الأولى خرج رئيس العراقَين أبو أحمد النهاوندي إلى باب السلطان مستقيلاً من ولاية العراق، ولَحِقَ الناسَ عليه من الأسف والحزن ما لا حدَّ عليه، لما رأوا منه من الإحسان وحسن السيرة والهيبة، وبكوا عليه، ولقَّبه الخليفة ذو الكفايتين، واستحلف أصحابَه في البلد، وأكَّد الوصية عليهم بالرعية، وقد كان واصل المكاتبات إلى السلطان بالاستعفاء من النظر في العراق، وسأل أن يكون على الباب، فأجابه.

ولمَّا طالت أيام ابن المحلبان ببلد شَهْرُزور وعرف السلطان، حرَّك الخليفة، فأنفذ كتاباً إلى أرسلان خاتون بالخروج من دار الخليفة إلى دار المملكة، ويتجهز إلى الري، فإنه مشتاق إليها، فأرسلت إلى الخليفة، فمنعها، وقال: ما السبب؟ فقيل: تأخَّر ابنُ

(١) تحرفت في النسختين (خ) و(ف) إلى: بأسفيدرونة.

المحلبان. فقال: ما أخَّرناه إلا ليصل ابنُ صاعد، ويسمع رسالته، ويردَّ الجواب، ويكون نفوذُهما جميعاً، وأما إذا استشعرتم فنحن نأمر ابنَ المحلبان بالإتمام، وكتب إليه بالمسير إلى السلطان، فسار.

وفي هذا الشهر جرت وقعةٌ بين مُعِزِّ الدولة[١] ثِمال بن صالح صاحب حلب، وبين الروم، أجملت عن قتل الروم وهزيمتهم، وسبب هذه الوقعة أنه كان لثِمال رسم على ملك الروم كلَّ سنة، مالٌ وثياب وتُحف، فلمَّا بعُدَ ثِمال عن حلب إلى مصر طمع صاحب الروم وقطع ذلك، فلمَّا عاد إلى حلب بعث وطلب الرسم، فجهز صاحب الروم العساكر إلى الشام، وجمع ثِمال بني كلب وغيرَهم، والتقوا على مكان[٢] يقال له: أَرْتَاح[٣]، وبعث ثمال أخاه عطية في مقدمته، واجتمعت إليه القبائل وبنو خفاجة، والتقَوا، فنُصروا على الروم، وكان بينهم وبين حلب ستة فراسخ، فانهزمت الروم، وقُتل أكثرُهم، وغنمهم، وفتح عِمّ[٤] وأَرْتَاحَ، وانتهى إلى أنطاكية، وحصرها، وضاق بهم الشيء، فصالحوه، وأعطوه مالاً ورسمه، ورجع. ويقال: إن الجارية الحسناء من الروم بيعت بخمسة دنانير، وكذا الفرس الجواد.

وفي رجب ملك قاروت بك بن داود بن أخي السلطان طُغْرُلْبَك مدينة شيراز ونواحيها، وتحصَّن فضلويه ببعض القلاع، وكان الديلم والأتراك يكرهون فضلويه لِما فعل بأبي منصور بن أبي كاليجار ووالدته، وكان قد كاتبوا قاروت بك بالمسير إلى شيراز، وقالوا: لا بُدَّ ما نقاتِلُك أياماً فلا تخَفْ، فلما جاء وحَصَرَ البلد خرجوا إليه ثلاثة أيام، فقاتلوه، ثم سلَّموا إليه البلد، فأحسن إليهم، وخلع عليهم، وعدل في الناس، فأحبُّوه، وأطاعه أهل الأطراف وخطبوا له، وبعث بأسفنديار وأمه إلى كرمان، وأمَّا فضلويه فإنه لمَّا قرُبَ قاروت بك من شيراز مضى إلى موضع يُعرف[٥] بكُفَيرة على

(١) بعدها في (م) و(م١) زيادة: وبين، والصواب عدم إثباتها.

(٢) العبارة في (م) و(م١): والتقوا بمكان بحلب.

(٣) أرْتاح: قرية من أعمال حلب بالقرب من حارم. بغية الطلب في تاريخ حلب ٢/ ١٠٢ ومعجم البلدان ١/ ٨٩ .

(٤) تحرفت في (خ) إلى: عمر، والمثبت من (ف) و(م١)، وعِمّ: قرية بين حلب وأنطاكية، ذات عيون وأشجار. معجم البلدان ٣/ ١٥٧ .

(٥) تحرفت في (خ) إلى: يكره.

خمس فراسخ من شيراز، ثم انتقل إلى جبال حصينة على خمسة عشر فرسخاً من شيراز، وسار خلفه قاروت بك، فحاربه، فهزمه قاروت بك، وقتل من أصحابه ست مئة رجل، وصعد إلى قلعة جَهْرَم، وهي في جبال منيعة ومضائق، وهي من أعمال فَسا على أربعين فرسخاً من شيراز، وعاد قاروت بك إلى شيراز، فأقام الخطبة للسلطان طُغْرُلْبَك، وبعث له هدايا، وكتب إليه بالفتح، وفي يوم الخميس الثالث عشر من شعبان كان العقد للسلطان على بنت الخليفة بظاهر تيزين.

قال محمد بن هلال بن المحسن الصابىء: سألت أبا منصور بن يوسف عن شرح ما جرى، فأوقفني على رقعة كتبها إلى الخليفة، مضمونها بعد البسملة الشريفة: صبَّحَ اللهُ المواقف المقدسة النبوية الإمامية بالنعم والسعادات، والإقبال والبركات، واستجاب من العبد الخادم صالحَ الأدعية منها، كان مع الغلام الوارد من ابن المحلبان كتابٌ إلى الخادم، في عطفه مدرجٌ شرحُ ما جرى عليه الأمر في المعنى الذي خرج لأجله[1]، وقد أنفذته، عُطف عليه هذه الخدمة لتقف المواقف عليه، ومن العادة أن يسطر في التاريخ، ما هذه سبيله بعد أن يذكر ما جرت الحال عليه أولاً من الامتناع وما بذل من المال، وأنَّ الحال أفضَتْ إلى فساد الدولة والدين، وإن أذن للخادم أن يجتمع بمحمد ابن الصابىء ويوقفه على المشروح، ويوافقه على ما ثَنَّيتُه عنده في التاريخ فعل، والأمر أعلى إن شاء الله تعالى.

وعلى رأس المسطور توقيع نسخته: وقفتُ على ما عرضتَه واستأمرتَ فيه، ويجب أن تقول له أن يكتب، ولمَّا كان من فعل اللعين البساسيري ما كان وانتهازه الفرصة فيمن انضوى إليه من الأجناد المطرودة عن مدينة السلام، وعَوْدِ ركن الدين إلى بلاده، وتشاغُلِه بقتال أخيه إبراهيم ينَّال حين شرد عن الطاعة، وفارق الجماعة، وأصغى إلى أباطيل البساسيري وأطماعه في الدولة والولاية ومضادة دار الخلافة، واقتضى حكم الاستظهار انتقال الإمام إلى الحديثة والمقام بها إلى أن تستقر الأمور، وورد ركن الدين إلى مدينة السلام، وعادت الخدمة الشريفة إلى مستقر سُدَّتها، وقُتِلَ اللعينُ البساسيري، وحُمِلَ رأسُه إلى الخزانة الإمامية، واقترح ركن الدين الإنافة به، ومقابلةَ

(١) في (خ): لأهله، والمثبت من (ف).

خدمَتِه بما يبقى له فخرُه وجمالُه على الأعقاب، ويتخلَّد ذِكرُه مع الدهر والزمان، ورغب في الخدمة بتجميله بعقد على كريمتها، وعلم أن موضعه يقتضي كل إيجاب، وتردَّدت في ذلك أقوالٌ اختلفت، وبُذِلَ في مقابلة ذلك من الأموال والإقطاعات ما اشتمل مبلَغُه على ألف ألف دينار سوى الأواني المُرصَّعة، والمهد المُرصَّع، والمراكب المُرصَّعة بالجواهر الثمينة، وأُعيد جميعُه، ثم انساقتِ الحالُ إلى أن عقد العقد اسماً من غير أن يكون اجتماع على أربع مئة درهم ودينار، ثم يساق الشرح على ما جرى منه، ونسأل الله التوفيق في جميع الأمور.

قال ابن الصابىء: وأوقفني أبو منصور بن يوسف على المشروح، فكان مضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم، لمَّا نزل العسكر بظاهر توريز اختير لإنجاز الأمر الرشيد الوقت المبارك السعيد، وهو بعد العصر من يوم الخميس ثالث عشر شعبان، ومُدَّ سِماطٌ عظيمٌ، واستدعيتُ عميدَ الملك جالسٌ[1] على باب السرادق السلطاني، وأكثر السِّماط تماثيلُ السُّكَّر، ومقدار ما يجوز منه نُشَّابه، فلمَّا رأى عميد الملك نهض وأظهر من إجلال الخدمة الشريفة ما يتجاوز الوصف، وأخذ بيدي وأجلسني في صدر السِّماط، والملوك والأمراء وُقوفٌ في الخدمة، والفيلةُ من جانِبَي السماط يحفظونه من النَّهب، ثم نُهِبَ بعد ذلك، وأُدخِلتُ أنا ومن معي على السلطان وهو جالسٌ على سرير، وعليه ما شَرُفَ به فَرَجيةٌ طَميم، وعِمامةٌ، وقَباءٌ تحت الفَرَجية، والأمراء والملوك حول السرير على مراتبهم، فجلستُ بعدما سلَّمتُ على السلطان، فأدناني عميدُ الملك ورحَّبَ بي، ثم قمتُ قائماً، وأخرجتُ كتاب الوكالة، وقام الجماعة بين يدي السرير وقرأتُها، فلمَّا بلغتُ إلى ذِكرِ ما خرجَتْ به المراسيمُ العاليةُ سجدتُ وسجد الحاضرون وعميدُ الملك والسلطان، فلمَّا جرى ذِكْرُ المهر وأنه أربع مئة درهم ودينار ارتفعت الأصوات بالدعاء للخليفة، واستعظموا ذلك، وقام إنسان يُقال له: مسعود الخراساني، فخطب، ونثر عميدُ الملك بين يدي السرير عدَّة كفوف لؤلؤ ودنانير، وزنُ كلِّ دينار عشرة مثاقيل، ونثروا على باب السُّرادق الدراهم [والدنانير، وأدَّينا الرسالة، فشكر ودعا، ونهضنا، وكانوا قد قدَّموا بين يدي التتار جاما خسروانياً مُغطًّى، فلم أمدَّ

(١) هكذا في النسخ، والمعنى: وهو جالس.

يدي إليه، فحملوه إليَّ، وإذا فيه ألف دينار ومثلها دراهم، وأبرزوا إليَّ توقيعاً بتقرير معيشةٍ، في كل سنة عشرة آلاف دينار، وذكر كلاماً طويلاً.

قال المصنف رحمه الله: وذكر جدِّي في «المنتظم»[1] أن العقد وقع على أربع مئة ألف دينار، وأن السلطان قال: أنا المملوك القِنُّ الذي قد سلَّم رِقَّه. وما حَوَتْه يدُه، وما يكتسبه باقي عمره إلى الخدمة الشريفة.

وما ذكر ابن الصابىء أَلْيَقُ بالقصة؛ لأنَّ القائم اتَّبَعَ السنَّة الطاهرة في أربع مئة درهم ودينار.

قال ابن المحلبان: ولمَّا كان من الغد أخرج من الخزائن المعمورة من الجواهر واللؤلؤ والذهب والمصاغ والثياب والألطاف والعين والجواري الأتراك والغلمان وغير ذلك شيئاً كثيراً.

وقال في «تذكرته»: وأمَّا الأخبار فإنَّ الأمير أبا نصر محمد بن دهشودان المعروف بهملان الرازي ـ صاحب توريز ـ حضر إلى باب السلطان سليماً ومستسلماً، فقرَّر عليه مالاً، فأقام بأكثره، وسلَّم ولده رهينةً على باقيه، وانتقل السلطان إلى مدينة بحجون قريبةٍ من بلد الروم، فصاحِبُها يُعرَفُ بأبي دُلَف بن الصقر الشيباني، ففعل كما فعل صاحب تيزين، وكذا فعل ابنُ الجليل صاحبُ أرمينية، ونزل السلطانُ على خُوِيّ، وهي من أعمال ثغور المسلمين، وركنٌ قويٌّ من أركان الدين، والمستولي عليها شيخ من أهلها، فامتنعوا وقاتلوا، وذكر كلاماً طويلاً وكتاباً إلى الخليفة بصورة ما جرى، وذكر فيه أن العقد كان على أربع مئة درهم ودينار مهر سيدة النساء فاطمة البتول صلوات الله عليها، ليعلم الكافَّة والخاصَّة تنزُّه سيدنا ومولانا الإمام عن التلبُّس بحُطام الدنيا، وذكر معناه.

وفي شعبان تُوفِّي المُعِزُّ بن باديس صاحب القيروان.

وفي شوال عاد رئيس العراقَين إلى بغداد عند السلطان.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٧٥.

ذكر السبب:

كان مواصلاً للسلطان بالمكاتبة يطلب الحضور إلى بابه، فأذِنَ له، فلمَّا مضى حمل ما كان استصحبه من المال والخيل والثياب، فوقعت خدمتُه أحسن موقع، وتصوَّر السلطان فيه أنه كان السبب في انقياد الخليفة إلى الوصلة بما فعله من التضييق عليه وعلى أصحابه، واتَّفق أن الخليفة بعث مع ابن المحلبان يشكو منه ويبالغ، وقد كان ابن المحلبان حمَّله من أذاه في ضياعه وأوحشه، فلم ينفعه ذلك مع السلطان لِما وقر في نفسه، ولعناية عميد الملك به، وميله إليه لأجل ما كان من الشكاوى التي نفعته عنده، وجمَّلته في عين سلطانه، وخوطب في العود إلى بغداد فامتنع، وسأل الإعفاء منها، وشكا من خرابها وخراب سوادها ما أوضحه، فقيل: لابُدَّ من عودك إليها لترتب إقامة السلطان بها مدَّة مقامه فإنه قاصد إليها، فإذا خرج منها فاخرُجْ معه، وأصحِبْه حاجب السلطان ـ واسمه رسول ـ ومعه للخليفة ثلاثون غلاماً من الترك، وثلاثون جاريةً على الخيول، وخادمان، وفرس بمركب ذهب مُرصَّع بالجوهر الثمين، وعشرة آلاف دينار، وعشرة آلاف أخرى لكريمته، وتوقيع بإقطاعات وجميع ما كان لخاتون المتوفَّاة من الإقطاع بالعراق، وعِقدُ جوهر فيه نيِّفٌ وثلاثون حبةً، في كل حبَّةٍ وزن مثقال، وثلاثة آلاف دينار لوالدتها، وخمسة آلاف دينار لِعِدة الدين، وخرج الناس على طبقاتهم لتلقِّي رئيس العراقيين، ولمَّا وصل إلى باب النُّوبي نزل وقبَّل الأرض، ومضى فنزل في خيمة تحت دار المملكة، ولم يدخل الديوان، وركب بعد ثلاثة أيام مع رسول إلى دار الخلافة إلى باب خاتون، وسلَّم إليها ما كان معه لتسلِّمه إلى الخليفة.

وقال أبو الفضل نعمة الله بن أحمد خطيب تيزين: كان السلطان مُجِدًّا في التوجُّه إلى بغداد على طريق ميَّافارقين ليقَرر أمر أولاد مروان في بلادهم بعد وفاة أبيهم، وكذا أمر مسلم بن قريش، ويطالبهم بالأموال التي خلَّفها أبوهم، فاتَّفق أنه طالب أهل خُوِيٍّ بعشرة آلاف دينار، فقالوا: نحن قوم مجاهدون، ويجب عليك معونتنا بالمال والسلاح، وبذلوا له أربعة آلاف دينار، فأنفذ إليهم سريَّةً فقاتلوهم، فظاهر أهل خُويٍّ عليهم، فراسل السلطان رئيس البلد يوسف بن مكين بهزارسب وسارتكين الخادم الخاص فلم يمكنهما من الدخول، فرجعا، ونشبت الحرب في رمضان وبعض شوال

مدة أربعين يوماً، وقتل من الفريقين مقتلة كبيرة، فراسل مشايخُ البلد عميدَ الملك على يد أبي كاليجار هزارسب، يطلبون الأمان، فأعطاهم، وعاد به هزارسب وسارتكين، فدخلا البلد بعد ثلاثة أيام، وأخذ جماعةً ممَّن كان يحارب السلطان، فقطع أيديهم، وقتل آخرين، وقبض على يوسف وابن أخيه موسى، وردَّ رئاسة البلد إلى أبي سعيد بن حمُّويه أحد مشايخ خُوِيٍّ، وكان بذل عشرة آلاف][1] دينار، وشرط أن يسلم إليه يوسف؛ لعداوةٍ كانت بينهما، فسلَّمه إليه، فضربه وصفعه في الجامع، وبلغ عميدَ الملك فقبض عليه، ونزع يده، وردَّ الرئاسة إلى عمر بن سحتكان، وكان رئيسها قديماً، وأخرب عقار يوسف الذي في البلد، وبنى مكانه قلعة باسم السلطان، وانصرف السلطان إلى أرمية، وأطلق موسى ابن أخي يوسف، ومات يوسف في الاعتقال عند توجُّه السلطان إلى العراق بالطريق، ثم غلب موسى على خُوِيٍّ وقتل جماعةً من أصحاب السلطان، وأخرج الباقين بسوء أفعالهم، وصار رئيس البلد.

وفي يوم السبت رابع ذي القعدة عُزِلَ أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست من ديوان الخليفة، وانتقل إلى داره بباب المراتب، وكان سيىء التدبير، كلَّما دبَّر عملاً لم يحصل من عُقباه حمدٌ، ومن ذلك تضمينُه ضياع الخليفة لابن علّان اليهودي، وظلم الناس، وأقام الشناعات، ثم هرب إلى واسط، وذهب ارتفاع الضياع، ثم ولَّى على الكُتَّاب كاتباً يُعرف بابن الحُصين، بذل له ثلاثين ألف دينار، فأطلق يدَه، فضرب وحبس، ولم يحصل على شيء، فعمل أهل بغداد في ابن الحُصين القصائد منها: [من البسيط]

يا ابنَ الحُصينِ ولا فخراً بذي النَّسبِ ... لقد فُضِحْتَ أمامَ العُجْمِ والعربِ
وسوَّلَتْ لكَ نفسٌ منكَ ساقطةٌ ... ظُلمَ العبادِ لمحضِ الزُّورِ والكذبِ
تُراكَ تحسَبُ أنَّ اللهَ يغفَلُ عن ... ما كان منك ولا يقتصُّ عن كثَبِ
تاللهِ تاللهِ إني خائفٌ وَجِلٌ ... من دعوةٍ نفذَتْ عن صدرِ ذي كَربِ
قُلْ لابنِ دارسْتَ عنِّي إن ظفِرْتَ بهِ ... انظُرْ لنفسِكَ واجنُبْها عن الرِّيَبِ
واذكُرْ معادَكَ والأعضاءُ شاهدةٌ ... واللهُ يحكمُ والمظلومُ في الطَّلبِ
لا المالُ يبقى ولا الأيامُ مُمهِلةٌ ... وليس ينفعُ إلّا حُسْنُ منقَلَبِ

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

من أبيات.

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة ورد الكافي أبو نصر محمد بن محمد ابن جَهير من ميَّافارقين للنظر في ديوان الخليفة، وكان قد وقع الاختيار عليه، وأخرج إليه الكامل أبو الفوارس طراد نقيبَ العباسيين، وركب رئيس العراقيين وجماعةُ الحاشيةِ والخدم، ونزل بالحريم الطاهري منتظراً لجواز الكسوف القمري، ودخل الديوان يوم الأحد التاسع عشر من الشهر منحدراً في الماء معه الناس على طبقاتهم، وخرج من الخليفة توقيعٌ يدلُّ على الابتهاج بمورده والتقريظ له، وحمل إليه أطعمةً وفواكه.

وفي ذي القَعدة ورد أبو علي شادل بن محمد التاجر متقدم بعض اليمن هارباً من مكة لدخول أصحاب الصُّليحي إليها، وقد قطع عليه الطريق، وكان لمَّا انهزم من اليمن دخل مكة وبها شَكَّر بن أبي الفتوح الحسني أميراً، فاستنجده، فوعد شَكَّر ومَنَّاه، وأعطاه وأخذ منه عشرين ألف دينار على أن يُفرِّقها فيمن يسير معه، ولم يُقدِمْ شَكَّر على ذلك؛ لعجزه عن معاونة الصُّليحي، وأقام أبو علي قانعاً بسلامته، ومات شَكَّر ليلة الخميس ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين، وطلب مكانَه ابنُ عمه يحيى بن عبد الله بن جعفر الحسني، واستولى على دور شَكَّر بالبرقة وبينها وبين مكة خمسة فراسخ، واستدعى جماعةً من بني عمه ليستوثق منهم، فتربَّصوا عليه، وبلغهم وفاةُ شَكَّر، فتصوَّروا أنه أراد قبضهم، وأرادوا أن يكون الأمرُ فيهم فاجتمعوا في خمسة وأربعين فارساً، وقصدوا بَرقة وبها يحيى، فانهزم وقُتل، فدخلوا مكة واستولوا عليها، وكان لشَكَّر عبد يقال له: محيا، فجمع العبيد، وفرَّق فيهم المال، وقصد مكة، فانهزم ابنُ أبي الطيب منها، وقصدوا أعمالَ الصُّلَيحي، فقوَّاهم بالمال والرجال، وساروا إلى مكة، وكان لمحيا منجِّمٌ، فقال له: لا تخرج اليوم ولا غداً. فخرج وقاتل، فهزموه، ومضى في جماعة قليلة، ودخل الأشرافُ مكة، ومعهم بنو هذيل، وكان لهم عند شَكَّر ثأر، فقتلوا من العبيد مَقتلةً كبيرة، ونهبوا، والتجأ ابن شادل إلى البيت الحرام، واجتمع ببني هذيل، وذمَّ منهم بين قوم منهم، وضمن لهم مالاً، وحملوه إلى داره، وكان الصُّلَيحي قد قرَّر مع الأشراف حملَه إليه، وعلم، فهرب مع قوم من العرب، فقطع عليه الطريق، فدخل الكوفة عرياناً، فكساه ابن كروشان الهاشمي، وأقرضه ما

استعان به على المسير إلى بغداد، ونزل إلى باب المراتب، ومعه ستة من أولاده، وعاد محيا إلى الينبع، وملك مكة والأشراف.

وفي يوم السبت تاسع عشر(١) ذي الحجة جلس الخليفة واستدعى ابنَ جَهير، ووصل إليه، وخلع عليه لحاف سقلاطون، ودَرَّاعة مُصْمَت، وعمامةَ قصب مُذْهَبة حراقية، وأُعطي دَواةً من الصندل مُحلَّاةً، وخاطبه بالجميل، واحتفل له في جلوسه مثلَ ما يحتفل الملوك، وحمل على بغلة بمركب مُحلًّى، وقُرِىء عهدُه بالوزارة قائماً، وأول ما فتح الدَّواة [كتب](٢) بمئة دينار صدقة، وكان في عهده بعد حمد الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد ﷺ: وبعد، فإن أمير المؤمنين حين عَدِمَ الكُفاة بحضرته، المُرْتضين لخدمته، وتحقَّق ما عليه ابنُ جَهير من صحة الدين، وخلوص المعتقد واليقين، وما يأوي إليه من الكفاية والعفاف، والتنزُّه عن كل ما يُذمّ من الخلال ويُعاف، وكملت فيه الأوصاف، والأدوات التي جمعت بين كل سجية رضية، وصفة مرضية استوجبت أناتَه، أفضل مراتب الخُلصاء، وأوجه منازل الأصفياء، فقلَّده الوزارة، وخصَّه من الطَّول ما يُعلي منارَه، وعوَّل عليه في الوساطة بينه وبين رعيته، وخاصته وعامته، وأمره بتقوى الله، وذكر ما يُذكر في العهود، ولُقِّب فخرَ الدولة شرفَ الوزراء.

وفي ذي الحجة كثرت الأراجيف بموت طُغْرُلْبَك بأرمية، واختلط الناس ببغداد، ثم ورد الخبر بأنه عُوفي، واستدعى السفن إلى تكريت؛ لتنزل في الماء إلى بغداد.

وفيها تُوفِّي

إبراهيم بن العباس(٣)

ابن الحسن بن العباس بن الحسن بن الحسين بن أبي الجِنّ، أبو الحسين، القاضي، الشريف، مستخص الدولة، ولي القضاء والخطابة بدمشق في أيام المستنصر نيابةً عن قاضي القضاة أبي محمد القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان.

---

(١) في (ف): تاسع.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٢ .

ولد إبراهيم سنة أربع وتسعين وثلاث مئة في المُحرَّم، وتوفي يوم السبت تاسع عشرين شعبان[1] ودُفن بالباب الصغير، قرأ القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء، وسمع الحديث [من أبي عبد الله بن أبي كامل ـ قال الحافظ ابن عساكر: بالإجازة ـ وروى عنه ابنه أبو القاسم علي بن إبراهيم شيخ الحافظ ابن عساكر]، وكان فاضلاً جواداً عفيفاً نزهاً.

[وفيها تُوفِّي]

ثِمال بن صالح

أبو علوان، ولقبُه مُعِزّ الدولة [ويعرف بابن] صاحب حلب ابن الزَّوقلية الكلابي، كان شجاعاً جواداً حليماً، أغنى أهل حلب بماله، وعمَّهم بحلمه ونواله، وكان محسناً إلى القبائل وجميع الناس [وقد ذكرنا أن صاحب مصر عزله عن حلب وردَّه، فذكرنا أنه فتح أحد الحصنين إمَّا عِمَّ وإمَّا حصن أَرْتَاح].

وبلغ من حلمه أنَّ فَرَّاشاً كان يصبُّ عليه يوماً [ماءً] من إبريق في طست، فغفل الفرَّاش، فأصابت بلبلة الإبريق ثنيته، فوقعت في الطَّست، فلم يقُلْ شيئاً، وعفا عنه، وقد مدحه ابن أبي حصينة بقصائد فقال: [من الوافر]

وَسَنَّ العَدلَ في حَلَبٍ فأَخلَتْ ... بِحُسنِ العَدلِ بُقعَتُها البِقاعا
حليمٌ عن جرائِمِنا إليهِ ... وحَتّى عَن ثَنِيَّتِهِ انقِلاعا
مكارِمُ ما اهتدى فيها بِخَلقٍ ... ولَكِن رُكِّبَت فيهِ طِباعا
إذا فَعَلَ الكَريمُ [بلا قياسٍ][2] ... فَعالاً كانَ ما فعلَ ابتِداعا

وكان ملجأً القُصَّاد والعلماء والفقراء.

وفي ذي القعدة ورد الخبر بوفاة أبي علوان ثِمال بن صالح أمير بني كلاب وأمير حلب]، وقام أخوه عطية مقامه.

---

(١) في (خ) و(ف): رمضان، والمثبت من (م) و(م١)، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٢.
(٢) المنتظم ١٦/ ٧٦.

[وفيها تُوفِّي

الحسن بن مشير

أبو علي، الكناني، الدمشقي، قال الحافظ ابن عساكر[١]: أقام بجامع دمشق خمسين سنة يقرأ القرآن احتساباً، وتوفي في ذي القعدة، ودُفن بالباب الصغير، سمع أبا محمد بن أبي نصر وغيره، وروى عنه نجا بن أحمد العطار وغيره، وكان صالحاً ثقةً].

[وفيها تُوفِّي]

سُبُكْتِكين التركي

أبو منصور، ابن تمام الدولة، ولي دمشق من قِبَل المستنصر سنة اثنتين وخمسين، وتوفِّي بها في ربيع الأول، وكان صالحاً عفيفاً، سمع الحديث ورواه، وكان إذا قُرِئ عليه الحديث يقول القارىء: أنبأنا العادل الأمير الصالح أبو منصور التركي.

[وفيها تُوفِّي]

عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن[٢]

أبو الفضل، الرازي، المقرىء، العجلي، [ذكره الأئمة، فقال عبد الغفار الفارسي في «تاريخ نيسابور»]: كان إماماً في كلِّ فنٍّ، جوَّالاً في طلب العلم، زاهداً، عابداً، ورعاً، يأوي إلى المساجد الخراب في أطراف البلد ويطلب الخلوة، فإذا عُرِفَ في مسجد انتقل إلى آخر، وما كان يقبل برَّ أحد، وكانت وفاته بنيسابور ـ وقيل: بكرمان ـ وكان يقول: إن هذه الأوراق تحلُّ منا محلَّ الأولاد. ومن شعره [من السريع]:

يا موتُ ما أجفاكَ من زائرٍ ... تنزلُ بالمرءِ على رغمِهِ
وتأخذُ العذراءَ من خِدْرِها ... وتسلبُ الواحدَ من أمِّهِ

(١) لم أقف على هذه الترجمة في تاريخ دمشق ولا في غيره، وأثبتت من (م) و(م١).
(٢) تاريخ دمشق ٣٤/ ١١٦-١٢٠ .

وقال: [من الطويل]

أخي إنَّ صِرْفَ الحادثاتِ عجيبُ ... ومَنْ أيقظَتْهُ الواعظاتُ لبيبُ
وإنَّ الليالي مُفنياتٌ نفوسَنا ... وكلٌّ عليه للفناءِ رقيبُ
وإنَّ مصيباتِ الزمانِ كثيرةٌ ... لكلِّ امرئٍ منها أُخيَّ نصيبُ
طوى الدهرُ أترابي فبادوا وفارقوا ... وما أحدٌ منهم إليَّ يؤوبُ
ومَنْ رُزِقَ العمرَ الطَّويلَ تُصيبهُ ... مصائبُ في أشكالِهِ وتَنوبُ
إذا ما مضى القرنُ الذي أنتَ منهمُ ... وخُلِّفْتَ في قرنٍ فأنتَ غريبُ
وإنَّ امرأً قد سارَ تسعينَ حجَّةً ... إلى مَنْهلٍ من وِرْدِهِ لَقريبُ

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن سلامة[1]

ابن جعفر بن علي بن حكمون، أبو عبد الله، القاضي، القُضاعي، سمع الحديث، وولي القضاء بمصر، وصنَّف الكتب، منها كتاب «الشهاب»، وكتاب «دستور الحكم، ومأثور معاني الكلم»، وكتاب تاريخ، وغير ذلك، وكانت وفاته بمصر في ذي القعدة.

وقال فارس بن الحسين الذُّهلي يمدح كتاب «الشهاب»: [من البسيط]

إنَّ الشهابَ كتابٌ يُستضاءُ بهِ ... في العلمِ والحلمِ والآدابِ والحِكَمِ
سقى القضاعيَّ غيثٌ كلَّما لمعَتْ ... هذي المصابيح في الأوراقِ والكَلِمِ

[وفيها تُوفِّي]

مَنيع بن وثَّاب

أبو الزِّمام، [النُّميري] أمير بني نمير، والي حَرَّان والرقة [وقد ذكرنا طرفاً من أخباره مفرَّقاً في الكتاب] كانت وفاته بعلَّة الصرع ليلة الخميس لخمسٍ خلَون من جمادى الآخرة، وكان جواداً سمحاً[2].

(١) تاريخ دمشق ٥٣/ ١٦٧ـ١٧٠، والأنساب ١٠/ ١٨٠ـ١٨١. وينظر السير ١٨/ ٩٢.
(٢) في (م) و(م١): شجاعاً.

obeikandl.com